النظم الوضعية:

يقول الشيخ الشعراوي: كانت هناك شراسة للرأسمالية ، فالنقيض جاء ليأخذ السلطة ويعطيها للعمال ضد الرأسمالية ، ولكن العمال بشر أيضا قد يأخذون هذه السلطة ويطغون بها كما طغوا من قبل " الرأسمالية " فقلتم لا ، لابد أ، توجد هيئة تجمع بين الدعوى " الرأسمالية " وبين نقيض الدعوى بيد واحدة هي اليد الحاكمة فقط ، أصبحت اليد الحاكمة عندكم ، هي التي تملك الثروة وتتحكم في العامل ولا سلطان لأحد في حرية أو حركة.

ولا شيوعية تدعي أن الأديان ما جاءت لتنظيم حركة الحياة و ولذلك كانت الثورة الشيوعية تصحيحا لكل هذه الأفكار ، ولتنظيم اقتصاديات الحياة ، وقلنا إنهم جعلوا الأمر خاضعا لنظرية فلسفية هي الدعوى ونقيض الدعوى أي مقابلها والجامع بين نقيضها. وقلنا إن الدعوى في الرأسمالية يقابلها العمالية. وبعد ذلك قيل إن الرأسمالية في أيد أناس إذا استبدت بالأموال ، فكذلك قد يستبد العمال بالعمل وحينئذ يوجد شيء أسمه السيطرة الموجهة ، إذن فلابد أن توجد هيئة تجميع بين الرأسمالية وبين المقابل وهو العمالية بيد واحدة وهي يد الأحزاب التي تسيطر وتحكم.

ونقول لهم: لنعط الجيل الإسلامي الناشئ خميرة يمكن أن يرد بها عل كل هذه الواردات.

إن الثورة الشيوعية التي بدأت في سنة ١٢٧ وأشاعت مبادئها ادعت فيما أشاعته أنها إنما جاءت بالشيوعية المرادة التي يحبون أن يؤصلوها في المجتمع ، ولكن في مقدمة للشيوعية وهذه المقدمة هي الاشتراكية.

إذن من لم يدخلوا في النظام الشيوعي. ومعنى ذلك أن النظام الشيوعي

أوغل في الاشتراكية مما يريدون.

فنقول لهم: إذا كنتم قد قلتم هذه المقدمة لتمهدوا للشيوعية فانظروا أتقدمتم إلى الشيوعية أم تأخرتم حتى عن الاشتراكية؟ إنكم فوجئتم بواقع الحياة يصوب أخطاءكم ورعوناتكم. فوجدتم أن النفعية الذاتية في الشخص قد انطفأت جذوتها ولم يعد هناك وازع في النفس للعمل. وما دام الأمر تأكد في، كلا عالم سيأخذ أجره فلا داعي أن يجهد الإنسان نفسه إلا بمقدار حاجته، والطموحات البشرية لا تجيء في كل الأفراد.

الطموحات البشرية في أفراد معدودين في كل جيل وفي كل مجتمع وفي كل عصر.. فإذا كانت..

المنفعة الذاتية هي التي تسيطر على حركة الإنسان:

إقداما ودأبا وإخلاصاً وغيره، لأن كل ذلك يعود عليه وعلى من يعول، فقد هذا المشجع وهذا الحافز في نظامكم، مما أدى إلى أن البلاد التي كنتم تصدرون إليها حبوبكم أصبحتم أنتم تستوردونها من الخارج، فهذا يدل على أنكم لابد أن تتوجهوا في النظام ليكون أقرب إلى الطبيعة.

هذا النظام الذي يكوون أقرب إلى الطبيعة هو أن تستغل حب الذات في النفس البشرية، لتعطي له حافزاً يجعله يعمل، وإن لم يكن المجتمع في باله، فإنه إن عمل ولو لنفسه ولم يكن حتى المجتمع في باله فإنه سيدخل للمجتمع قهرا عنه.

فهب أن إنسانا يريد أن يبني عمارة ضخمة، وعنده من المال مال مكنوز ويحب أن يبنيها، يدخل الله على نفسه خاطرا من خواطر الاستثمار والنفع الذاتي، هاكم ومالي لا أستغل هذا المال المكنوز في بناء عمارة تدر على

كذا وكذا من المال؟ ويضخم له الأمل ما يأتي من هذه العمارة ، ذلك بحب ذاتي بحيث لا يتعدى حدود النفس الضعيفة ، وإن تعدى فإنما يتعدى لولده وإلى القريب من أهله.

نقول له: نعم إن المجتمع سيستفيد من ذلك أردت أو لم ترد ، كيف؟

الذي يحفر الأرض لتبني أساس العمارة سيستفيد.

والذي يصنع الطوب لتبني عمارتك سيستفيد.

والذي يعمل في حقل الأسمنت سيستفيد.

والذي يعمل في البناء سيستفيد.

والذي يمل في خلط المواد سيستفيد ، والذي يعمل في الكهرباء سيستفيد.

والذي يعمل فلي الأدوات الصحية سيستفيد.

والذي يعمل في الجماليت الكمالية " الديكور" سيستفيد.

فإذا ما نظرت على العمارة بعد أن أقيمت تجد أن كل مال هذه العمارة قبل أن ينتفع بها صاحبها انتفع بها كل المجتمع ، استطراقا من أفقر طبقة فيه إلى أوسط طبقة. إذن فالحركة الذاتية في النفع الذاتي نريد أن توجد ولو لم يكن في بال من يتحرك المجتمع. فإن المجتمع سيستفيد قربها عنه رضي أو لم يرض.

فأنتم إذن اضطررتم إلى أن تدخلوا نظام الحافز.

إذن أنتم لم تقربوا من الاشتراكية إلى الشيوعية. وإنما رجعتم أيضا حتى عن بعض الاشتراكية.

obeikandl.com

الإسلام صحح شراسة الرأسمالية..

وصحح شراسة الشيوعية

ويعني أنكم رجعتم.. أن هناك فكرا شرسا قد هيأ لكم أمرا أو برر لكم أمرا لتسيطروا على ناصية الحكم في البلاد. وتستذلوا الناس لأنكم جعلتم لقمة العيش التي تقيم حياتهم في أيديكم ومعكم قوة الحكم.

إذن فأنتم تراجعتم قهرا عنكم لإيجاد الحافز ليوجد قدر من الحركة الهادفة النافعة المؤهلة للطموح.

فإذا كنتم قد رجعتم عن الاشتراكية التي أدعيتم أنكم إنما جئتم بها. كمقدمة للشيوعية. إذن فهذا تراجع، هذا مقابل الدعوى. وإذا ما نظرتم إلى الدعوى الأصلية وهي أنكم فعلتم ذلك لتخلصوا الدنيا من شراسة رأس المال. فلننظر في الجهة المقابلة لشراسة رأس المال.. أبقيت على شراستها أم أعطيت العمال الحقوق.. وأعطوا الراحات وأعطوا المكافآت ، وأعطوا التأمينات؟

إذن فلا الرأسمالية سارت في شراستها، ولا الشيوعية سارت في شراستها، تلك مخطئة، هذه مخطئة.

والواقع كذب الاثنين معا.

إذن فلابد أن تتنازل الرأسمالية عن شراستها وأن تتنازل الشيعية عن شراستها.

ومعنى تتنازل طرفين متقابلين أن يتواجها دون أن يتدابرا.

وإذا ما تواجها ألتقيا في منتصف الطريق ومنتصف الطريق هو الذي جاء به الإسلام.

إذن فلو أنكم أنصفتم لوجدتم الإسلام صحح شراسة الرأسمالية وصحح شراسة الشيوعية.

فلو أنصفتم لجعلتم من هذا النظام منقذا لكم مما تورطتم فيه سواء جاء التورط من جهة الغرب في الرأسمالية أو من جهة الشرق في الشيوعية.

فإذا ما أردت أن تقارن نظاما بنظام أبقى الحافز ، وأشاع الخير الفاضل من الحركة الإنسانية وجدت أنهم أحرجوا فدخلوا في شيء آخر لا يدخل في مقام المناظرة ، ولا في مقام الدجل ، ولا تقوم به حجة وهو أنهم فروا من مناقشة النظام ومقارنته بنظام.. إلى الكلام في مصدر هذا النظام. الكلام الذي تقولونه يا أيها المسلمون كلام جيء به من شيء خرافي.

كيف تقولون إنه خرافي غيبي. إنه شيء موجود أولا ، كونه ممن؟ هذا أمر لا يعنيكم. فقارنوا نظاما بنظام ، وقد قابلت ففشلتم ،وتبين تفوق النظام الإسلامي على نظمكم جميعا ، وأسبقيته وتميزه ، وأنه لا إذلال فيه لأحد على أحد لأن بشرا لم يدع أنه أتى ليستذل به رقاب الناس؟ أو ليعتز به أو يحاول أن يجد لنفسه مكانا. لأنهم يقولون ليس من عندنا. إنما هو نظام من عند الله فيبدؤوا يناقشون فكرة الله هذه. نقول لهم: هذا فرارا من ميدان المناظرة ، ومن مجال الجدل.

ما لكم والإله الذي قلنا إننا جئنا بالنظام عنه.

ناقشوا النظام وهبوه نظاما بشريا لنظام بشري. ومع ذلك سنحاول أن ندخل معكم في شيء من الجدل حتى لا تظنوا أننا قررنا من نقاش هذه المسألة.

وجود الأثر لابد أن يسبقه وجود مؤثر:

- إنكم تقولون إن الإله الذي نسبتم إليه هذا النظام إله لا وجود له ، وأن العالم يسير هكذا بطبيعته، إلى آخر الأفكار التي تقولونها في هذه المسألة التي أصبح الرد عليها ممكنا بطرف الأصبع.

- نقول لهم لو أنكم نظرتم إلى نظامكم بالذات أيدعي أحد أن النظام هبط عليه من دون مقنن له؟

إنكم قلتم ماركس.. قلتم لينين.

إذن فالنظام الذي وجد ما استطعتم أن تنسبوه إلى قوة خفية ولكنكم نسبتموه إلى قوة مادية من جنس ذواتكم. فالنظام جاء من عندنا ومتميز عما عندكم ، ألا تحبون أن ننسبه إلى أحد كما نسبتم أنتم نظمكم إلى أحد؟ وحاولتم أن تجعلوا منهم آلهة. إن نظاما جئتم به لم تقولوا إنه جاء هكذا بطبيعته ، وإنما جاء بأساتذة فلاسفة ومدارس ألخ.

فإذا كان هذا النظام الذي أصبح مفضوحا بمقارنته بنظام الإسلام لم يجئ بطبيعته ووجدتموه هكذا ، فهل النظام الذي يتفوق عليه أو على الأقل يساويه. تقولون هكذا جاء من غير أحد ، يقولون لا ،إنه جاء من أحد مثلنا ، نقول إن الذي يأتي بشيء عظيم لا يمكن أن يتخلص منه لينسبه إلى غيره.

لأن الناس تتصيد كمالات غيره لتنسبها لنفسها.

فإذا ما وجد عنده كمال ، جعله يأتي بنظام.. فهل إذا ما جاء بهذا النظام ينسبه إلى شيء آخر ويقول أنا لم أصنعه.

إن الإنسان منا يدعي ما ليس له ، ومثل هذه الكمالات لا تطلق بلا دعوى.

فإذا كانت تطلق بلا دعوى ، وأن الذين يتحملون هذا النظام يريدون أن يرتفعوا عن مستواهم ويقولون: لا ، ليس من عندنا وإنما هو من عند إله قادر.

فلو أنه كان من عندهم لقالوا كما قلتم أنتم ، ومجدوا الذين جاءوا بهذا النظام.

إذن فقولكم إن هذا شيء خرافي ، شيء لا يعرف ولا يدخل في نقاش ولا يدخل في جدل ، وأيضا لو نقلناكم نقلة قبل وجود النظام. النظام الذي تحكمون به تقولون إنه لم يكن موجودا ، وقد وجد بموجد.

قلتم عنه إنه فلان وفلان.

- إذن فكل شيء يوجد ويطرح في عالم الوجود ، لابد له من موجد ، ما دمتم قلتم بنظام لم يكن موجودا قبل عام ١٧ هذا النظام لم تجدوه مطروحا هكذا بدون موجد ، ولكننا عرفنا أن قد أوجده موجد ، إذن فكل أثر لابد أن يكون له مؤثر أوجده. فالضدية التي قلنا بها كدين وكإسلام قاد حركة الحياة وانتصر على الفرس والروم أوجد هكذا بدون موجد؟

دعوا النظام الذي يحكم حركة الحياة. وابحثوا في الحياة ذاتها.. هذا الحياة التي توجد على ظهر الأرض في صور مختلفة ، أيعقل أن توجد هكذا بدون موجد؟

لو أن إنسانا ما كان في صحراء ، ولا يجد ماء ولا قوتا ثم استيقظ فوجد مائدة عليها أطايب الطعام وأطايب الشراب. أعتقد أنه قبل أ، يتناول شيئاً منها لابد أن يسأل فكره ، ويحمل عينيه على أن تبحث ليعرف من أمده بالطعام ولا شراب.. فإن كان جائعا ومعجلا وأكل أظنه بعد أن يشبعه لابد أن يفكر فيمن أحضر له الطعام ، فلن يجد أحدا أبدا يقول له أنا الذي أحضرته.

obeikandl.com

فإذا ما ارتفع صوت بعيد ليحل له اللغز وقال له: أنا الذي فعلت لك ذلك ، هو يطلب منفعة ، وقال أنا فعلت ولم يجد أحدا يعارضه في هذه الدعوى ، ألا تصح الدعوى له ويصبح هو صاحبها؟.

ولعل في هذا إفحاما للذين يقولون (لا إله) إذا إستدللنا به على إنهم نظموا حركة من حياة من فكر البشر.

وهذه الحركة التي قاموا بها كانت نتيجة أبحاث فكرية لقوم سموهم فلاسفة هذه الثورة. الثورة الشيوعية.

إذن فالنظام لم يجيء من ذاته ، إنما بواسطة أناس ، إذن فوجود الأثر لابد أن يسبقه وجود مؤثر.

فلو أنهم نظروا إلى الوجود من حولهم قبل أن يوجد منهم ذلك النظام ، لوجدوا نظاما يحكم حركة الحياتية قد يكون من وضع البر ، وقد يكون من بقايا أديان درست واتهمت.

نقول لهم: تجاوزوا عن ذلك ، وانظروا إلى الأشياء الثابتة في الوجود التي طرأ عليها النظام. فالنظام جاء ليحكم حركة حياة إذن فابحثوا عن الحياة قبل أن تبحثوا عن نظام حركة الحياة ، وما دمنا قد أستدللنا على أن كل أثر لابد له من مؤثر يسبقه ، وقد سبق وجود نظام لكم تحكمون به نظام الحياة الاختيارية، وجود مؤثرين أصحاب مدرسة وضعوا ذلك النظام.. انقلوا البحث إلى ما فوق ذلك وابحثوا في المنظم له.

المنظم له هو حركة الحياة بالنسبة للإنسان والإنسان ليس وحده في هذا الوجود الذي نظمتم له حركة.

لأن الإنسان جنس من أجناس كثيرة ، وأنتم نظمتم للإنسان ، ولكن لم

obeikandl.com

تنظموا شيئا لبقية الأجناس.

من الذي يجعل نظام الأجناس غير الإنسان نظاما لا يوجد له موجد لأنكم لم تدعوه؟ هاذ النظام أيضا عائد في أخريات أموره إلى الإنسان.

فالإنسان جنس وهو جنس أعلى. ومعنى أنه جنس أعلى أنه لا يوجد في الوجود المرئي للإنسان جنس آخر يفوقه في خصائصه. أقول في المرئي لأنه قد يوجد جنس غيبي أعلى مرتبة من الإنسان. إنما أنا أتكلم عن الإنسان المرئي المشهود في عالم الملك. ولا أتكلم عن الأشياء التي توجد في عالم الغيب ، لأن ذلك أمر لا نعرفه إلا عن طريق الدين.

وطريق الدين هو الطريق المختلف فيه. وما دمنا مختلفين فيه ، فلا يصح أن نحتج به عندهم.

إذن فالإنسان جنس في الكون ، وجنس أعلى لأن الجناس المرئية ، هي دونه في التكوين المشخص ودونه في مهمة.

فالإنسان إذا نظر ووجد نفسه حيا متحركا حساسا ، ووجد جنسا آخر حيا ومتحركا وحساسا وهو الحيوان الذي دونه ، ولكن الإنسان يفوق الحيوان بأنه مفكر.

ومعنى أنه مفكر أنه يختار بين بديلات متعددة.

الحيوان لا يختار بين بديلات. الحيوان محكوم لا بنظام بشري ولكن بنظام قهري وجد في غريزته لم يتعلمه أبدا ، لم يجلس إلى معلم ليعلمه كيف يأكل وكيف يشرب وكيف يتقي البرد وكيف يبني لنفسه أوكارا ،أو أعشاشا أو الخ.

إنما أمر جاء فيه بغريزة. فهو محكوم بالغريزة القسرية القهرية. والغرائز

القسرية القهرية دائما لا بدائل لها لأنها أمر واحد، ولنوضح ذلك بمثال: فأنت إذا ضربت قطة فإنها ترد عليك ردا واحدا ، ولكنك إذا ضربت إنسانا فإنه يمكنه أن يرد علك بردود متعددة. فقد يضربك ضربة أو ضربتين ، أو ضربة مثل ضربتك أو ضربة فوق ضربتك ، وقد يسخر منك ويهزأ ويعفو ، وقد يحسن إليك.

إذن فهناك بديلات متعددة الذي أدار هذه البدائل واختار أرجحها وهو الفكر وتلك هي ميزة الإنسان عن الحيوان.

الإنسان منا يأكل – كما نقول دائما – فإذا ما جاء إليه عزيز بعد شبعه بلون آخر من الطعام فإنه يأكله أيضا.ويأتي ثالث فيأكل أيضا. ولكنك إذا ذهبت إلى الحيوان بعد أن يشبع لتحمل عليه بكل ألوان القسوة لتحمله أن يأكل عودا من البرسيم فوق طاقته ما استطعت إلى ذلك سبيلا، لأنه محكوم بحكم الغريزة التي لا تجامل ، وبحكم الغريزة التي لا بدائل عندها.

إذن.. فالإنسان متميز بالفكر ، والفكر يجعله بين بدائل متعددة ، فما الذي يجعله يختار بديلا على بديل؟ إنما يختار بديلا على بديل وفق ما يرى من الخير في البديل الذي يختاره.

وقد يختلف الناس في تقدير ذلك الخير ، حسب أهوائهم ومشاعرهم ومواجدهم. إذن..

فلابد أن توجد قوة عليا لتنظم سلطان الهوى:

حتى لا يفسد على الإنسان أمر اختياره، فتتدخل هذه القوى لتفرض نظاما في اختيار الشيء الذي إن لم تختره يحصل فيه الضرر.

وبعد ذلك ننتقل إلى الحيوان ، فنجد الحيوان مستمتعا بأنه يفوق جنسا

آخر تحته.. هذا الجنس هو النبات الذي لا حس له كما نعلم ولا حركة.

والنبات يمتاز عن الجماد بأنه له نموه ، والجماد لا نمو له.

إذن فأجناس الوجود التي أمامنا متدرجة. جنس يسلم إلى جنس ، وتجد كل جنس في خدمة الأجناس التي فوقه.

الجماد (ماء ، هواء ، عناصر أرض ، شمس ، قمر) كل هذه جمادات هي في خدمة من؟

تخدم النبات تغذية بالضوء تغذية بالعناصر. الماء يذيب له العناصر ليتغذى.

***

obeikandl.com